
كلها هموٌ منّا خير
قصة
يُوسُفْ
عليه السلام



نام يوسف عليه السلام ليلةً فرأى رؤيا عجيبة ··

قام من نومه متعجباً من تلك الرؤيا الغريبة ...

اتجه إلى أبيه الحبيب يعقوب عليه السلام ..

قال : (لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾) يوسف : ٤ ...

فقال الأب بروح المشفق على ابنه : (يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾) يوسف :٥

وانظر إلى التربية العظيمة من يعقوب عليه السلام عندما نسب الكيد إلى الشيطان لكي لايملأ قلب يوسف على إخوته ..

ولكن الشيطان نزغ نزغته على إخوة يوسف...

فقالوا : (ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾) يوسف : ٩

ثم دار النزاع أكثر فقال أحدهم : (لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾) يوسف : ١٠ ··

ذهبوا إلى أبيهم فقالوا : (يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾) يوسف : ١١-١٢

فقال يعقوب عليه السلام: (إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾) يوسف : ١٣...

فقال الأخوة إظهاراً لقوتهم : (لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾)

يوسف : ١٤....

فوافق يعقوب عليه السلام على مضض وخوف...

الهم الأول : (إلقاؤه في البئر)

هنا بدأت هموم هذا الغلام ..أخذوا أخاهم يوسف معهم وبدءوا تنفيذ الجريمة ...

قاموا بضرب يوسف عليه السلام... ليخلع ملابسه ..

خلعوا ملابسه ...



الهم الثاني : (ظلم ذوي القربى)

كان همُّ ظلمة البئر عظيماً على يوسف عليه السلام ولكن الهمّ الأكبر أن إخوته من لحمه ودمه هم الذين ألقوه في البئر...

وظلــم ذوي القربـة أشــد ... مضاضةً من وقع السهام المهند

عاد الأخوة إلى أبيهم يتباكون بكاء المكر والخديعة...

قالوا : (يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾) يوسف : ١٧

ثم عرضوا عليه قميص يوسف عليه السلام وهو ملطخ بالدماء...

فنظر إلى القميص متعجباً ..

وقال : ما أرفق هذا الذئب فقد كان رحيماً بابني ..

حتى أنه لم يمزق أو يخرق بأنيابه الثوب !!

ثم قال: (بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾) يوسف : ١٨

ولننتقل من بيت يعقوب عليه السلام إلى بئر يوسف عليه السلام ولننظر ماذا حدث له ..

فقد بقي يوسف في ظلمة البئر مصاحباً همومه وكان نِعم المؤمن الصابر ...

الهم الثالث : (غربة الأهل والوطن)

مرّت تلك القافلة ... وكما قال تعالى : (وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ ﴿١٩﴾) يوسف : ١٩

وهنا التقمه الهم الثالث بأن أخذته هذه القافلة وغربته عن أهله من فلسطين إلى مصر ...

الهم الرابع : (الرِّق)

ثم حدث له الهم الرابع بأن باعوه عبداً رقيقاً بعد أن كان حراً طليقاً ..

فاشتراه عزيز مصر وقال لامرأته : (أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴿٢١﴾) يوسف : ٢١



الهم الخامس : (مراودة امرأة العزيز)

ثم حلَّ الهم الخامس وهو الأعظم على يوسف عليه السلام وذلك عندما شبّ وأصبح نبياً ...
وكما قال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾) يوسف : ٢٢

فتأمل أخي الحبيب أختي الغالية .. إلى آخر كلمة لوصف يوسف عليه السلام قبل أن تبدأ المراودة من امرأة العزيز وهي وَصْف يوسف بالإحسان

وما الإحسان..؟ (هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)··

وبالفعل كان يوسف يعبد الله كأنه يراه .. ثم قال تعالى بعد أن أثبت براءته : (وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ) يوسف ٢٣. وتأمل إلى قوله: (وَغَلَّقَتِ) فهي تفيد الإغلاق بتثبت وإحكام.

ولم يكن باباً واحداً وإنما أبواباً .. باباً خلف باب ... ثم بعد ذلك كله قالت: (هَيْتَ لَكَ) ... أي تهيأت لك يايوسف فتعال .. فرد يوسف عليها كالصاعقة ولا عجب فقد كان يعبد الله كأنه يراه: (مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾) يوسف : ٢٣

الله أكبر : أخي الحبيب.. أختي الغالية تأملا إلى يوسف عليه السلام، شباب ، وشهوة ، وجمال، وأمر من سيدته الغنية الجميلة ومع ذلك كان صابراً مؤمناً.. فهي لا ترى غيره وهو لا يرى إلا الله ..

ثم انطلق مسرعاً إلى الباب وانطلقت خلفه .. أمسكت قميصه عليه السلام من الخلف ..
سحبته بقوةٍ ـ فهي سيدته ـ .. شقّت قميصه .. هنا أنقذه الله بفتح الزوج للباب ..

بادرت امرأة العزيز بالمكر والخديعة ··

قالت: (مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾)· يوسف : ٢٥ ..

دافع عن نفسه مباشرة وقال : (هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴿٢٦﴾)·· يوسف ٢٦

ولكن الكلمة المسموعة كانت للمرأة لقوة سلطتها على يوسف ..

فإذا بدليل البراءة يظهر ويلوح حيث نطق شاهدٌ من أهلها فقال ذلك الرأي الحكيم : (إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾) يوسف : ٢٧



رأى الزوج أن القميص قد شُقّ من الخلف ..

فإذ لو كان من الأمام لكان هو الذي أتاها وهي تدافع عن نفسها فشقت قميصه من الأمام ولكن الزوج عرف مكر زوجته .. فقال كما قال تعالى : (فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾) يوسف : ٢٨ ..

فماذا نتوقع من هذا الزوج .. هل وبخ المرأة وعاقبها ؟! .. هل أخرج يوسف من القصر؟! ..

لا بل انعدمت الغيرة !! حتى أنه لم يقل إلا كما قال تعالى : (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾) يوسف : ٢٩ ..

انتشر الخبر في مصر أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ... الأمر زاد انتشاراً .. خرج من القصر إلى قصور الطبقة الراقية يومها .. ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث....

وزاد حديث المدينة : (۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾) يوسف : ٣٠ وانتقل الخبر من فمٍ إلى فم .. ومن بيتٍ إلى بيتٍ .. حتى وصل لامرأة العزيز.

سمعت امرأة العزيز كلامهن فغاضها ثم دبرت المكيدة !!





الهم السادس : (مراودة النسوة ليوسف)

(قررت امرأة العزيز أن تعد مأدبة كبيرة في القصر. . وأعدت الوسائد حتى تتكأ عليها المدعوات.. واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلى جوار الطعام المقدم. ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها. وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة، قالت ليوسف: (ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ) (بهتن لطلعته، ودهشن) . (وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ) وقلن في دهشة (حَٰشَ لِلَّهِ) وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيراً عن الدهشة بصنع الله.. (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾) .

ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهشة والإعجاب والذهول.. فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها، والتي تفتخر عليهن بأن هذا متناول يدها؛ وإن كان قد استعصم في المرة الأولى فهي ستحاول المرة تلو الأخرى إلى أن يلين: انظرن ماذا لقيتن منه من البهر والإعجاب! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم، وإن لم يطعني سآمر بسجنه لأذلّه.

إذ لا غيرة من زوجها ... ولا خوف من كلام الناس ..

واندفع النسوة كلهن إليه يراودنه عن نفسه.. كل منهن أرادته لنفسها..

فأمام هذه الدعوات - سواء كانت بالقول أم بالحركات واللفتات - استنجد يوسف بربه ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه....

دعا يوسف ربَّه دعاء الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته....) (لواء الدين محمد عبد الرحمن أحمد)

فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء فقال (رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾). يوسف : ٣٣ ...

وهذه رسالة من يوسف عليه السلام لمن لا يغضون البصر ... لمن يسافر إلى كل مكان ... لمن يتابع القنوات الفضائية بلا قيد ولا شرط بحجة اهتمام بأخبار أو غيرها..!!

يوسف يعلنها بلسان حاله ويقول : أنا نبي وأخشى أن أقع في براثن الزنا والشهوة فدعا على نفسه بالخيار الثاني وهو السجن !!

فنحن من باب أولى ... إخواني وأخواتي من أن نحذر من حبائل الشيطان ..



الهم السابع والأخير : (دخوله للسجن)

دخل يوسف السجن صابراً محتسباً بظلم أولئك النسوة .. وقيل أدخل لانتشار خبره بين الناس فأرادوا أن يخمدوا تلك الفتنة ..كان يوسف في السجن محبوباً داعياً إلى عبادة الله وحده حتى أحبه من في السجن .. دخل معه السجن فتيان ...

رأيا صلاح يوسف وأحباه ..

فسألاه عن رؤياهما فقالا كما قال تعالى : (قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾) يوسف : ٣٦٠٠

فكان يوسف عليه السلام مع همومه نعم الرجل الصابر ...

فدعاهما إلى عبادة الله وحده ...

ولا عجب فقد كان هم الدعوة إلى الله وحده فوق كل همومه عليه السلام ....

فقال لهما : (لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾) يوسف : ٣٧ ....

وقال لهما : (يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾) يوسف : ٣٩ ...

وقال : (مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾)

يوسف : ٤٠ فسر لهما الرؤيا بعد ذلك ...

قال أحدكما سيعود ساقيًا عند الملك ...والآخر سيصلب وتأكل الطير من رأسه ..

وبالفعل حدث ما قال يوسف عليه السلام ...

فلما خرج ساقي الملك فرحاً من السجن قال له يوسف أخبر الملك بقصتي وظلمي ...

فخرج الساقي وأنساه الشيطان ذكر يوسف وقصته للملك ..

لبث يوسف سنوات عديدة في السجن حتى جاءت تلك الليلة التي رأى الملك رؤيا عجيبة ..

قام من نومه ... جمع الملأ حوله ..



قال لهم : (إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾) يوسف : ٤٣

نظر الملأ بعضهم إلى ببعض ... وقفوا حائرين أمام تلك الرؤيا العجيبة .. قالوا كما قال تعالى (أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾) يوسف: ٤٤ ..

كان من بينهم ساقي الملك ..

في هذه اللحظة تذكر الساقي صاحبه يوسف فذكر أمره للملك ..

فقال الملك : إذهب إليه .. وصل إليه الساقي ..

قال الساقي : يوسف أيها الصديق أفتني في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات ضعيفات .. وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات .. لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ..

ما أعظم يوسف .. لم يتردد للحظة واحدة ..

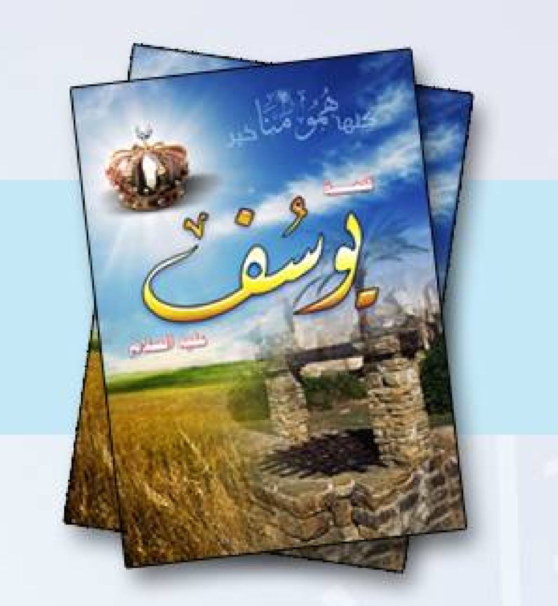
لم يساوم على تفسير هذه الرؤيا بخروجه من السجن .. لم يعاتب صاحبه لنسيانه ، فلا عجب لأن هم الناس كان يغلب همومه عليه السلام ..

قال عليه السلام : (تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾) يوسف : ٤٧ بيّن يوسف أنه ينبغي عليهم أن يزرعوا في السبع السنوات الأولى ويحفظون جزءاً من محاصيلهم لأنه سيأتي بعدها سبع سنوات جدب وقحط لا يجدون أكلاً إلا ما حفظوه ثم بعدها سيأتي عام فيه خيرٌ عظيم ..

ثم ماذا بعد تلك الهموم !؟

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً — وعنـــد الله فيهـا المخـــرج

ضاقت فلما استحكمت حلقـاتها — فـرجـت وكنـت أظنهـا لا تفـرج



الفرج لأول : (تبرئة يوسف)

أعجب الملك بتفسير الرؤيا وقال الملك ائتوني به ...

جاءه الرسول قال : إن الملك يريدك٠٠

قال يوسف له : ارجع إلى الملك واسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ... أحضر الملك النسوة ...

قال : ما خطبكن إذا راوتن يوسف عن نفسه ...قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء ٠٠

قالت امرأة العزيز: أنا أعترف أنا التي راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ٠٠

الفرج الثاني : (دعوة الملك الخاصة)

ظهرت براءة يوسف ...

الملك يوجه له دعوة خاصة ويقول : أءتوني به استخلصه لنفسي ..

خرج يوسف من السجن ..

الفرج الثالث : (الوزارة)

قال له الملك : (إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾) يوسف : ٥٤

قال يوسف : (ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾)٠ يوسف : ٥٥

مباشرةً لم يتردد الملك ..

عينه وزيراً للمالية ... لم ير الملك أفضل من يوسف عليه السلام ٠٠

ولا عجب فلم يكن يوسف عليه السلام ليطلبها لحبه للدنيا ..

ولكن لما يرى من الضياع وعدم القدرة على إدارة أمور الدولة ..



الفرج الرابع : (لقاؤه بأسرته)

مرت السنوات السبع التي قال عنها يوسف وأوصى بالزراعة فيها ... لما سيأتي بعدها من سنوات الجدب والقحط ..

أقبلت تلك السنوات العجاف ....

احتاج الناس من كل بقاع الأرض إلى الزاد والقمح ...

كان يوسف هو الوزير العادل الرحيم القادر على الحفاظ على جزء من الخيرات لتوزيعها على الفقراء وبيعها للأغنياء ..

وهنا حدثت المفاجأة !! أخوته يقدمون عليه ..

عرفهم ... ولم يعرفوه !!..

أخبروه بقصتهم وضعفهم وعددهم وأن لهم أخاً صغيراً لم يأتوا به ..

قال لهم : أثبتوا لي أن لكم أخاً لم تأتوا به بأن تحضروه لي ... ألا ترون عدلي ووفائي للناس ... فإن لم تأتوني بأخيكم فلا كيل لكم عندي ولا تقربون..

قالوا : (قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾) يوسف : ٦١ ..

عادوا إلى أبيهم الحزين على فَقْد يوسف ..

قالوا : (يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾) يوسف : ٦٣ ..

قال: (قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾) يوسف : ٦٤ رفض يعقوب خوفاً عليه ...

فتحوا بضاعتهم وجدوا طعامهم والمفاجأة أن رد يوسف بضاعتهم لهم ... فقد كان يوسف يعطي طعاماً مقابل بضاعة يحضرونها ... فَسُروا من وجود البضاعة والطعام ..

عادوا إلى أبيهم مرة أخرى .. أعادوا الكرّة وقالوا كما قال تعالى: (يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾) يوسف : ٦٥ ...

وافق الأب ... لكنه شرط شرطاً ..

قال : لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتُنني به إلا أن يحاط بكم أي إلا أن تهلكوا جميعاً ...

أعطوه موثقهم ...قال : الله على ما نقول وكيل ..



دخلوا على يوسف عليه السلام ... عرف يوسف أخاه (بنيامين) ..

قال : إني أنا أخوك فلا تبتئس ياأخي بما كانوا يعملون .. اتفق يوسف مع أخيه لعمل خطة ليبقى معه في مصر .. ليخرج من أذية أخوته ، أعلن مؤذن : أن صواع الملك من الذهب قد سرق .. وأنكم أنتم السارقون .. فأقبل الأخوة، وقالوا : ماذا تفقدون ؟..

قالوا : نفقد صواع الملك من الذهب... وأعلن يوسف أن من يجده من الناس له هدية حمل بعير من الطعام والخير .. قالوا إخوة يوسف ببراءة: لم نأت لنفسد في الأرض ونسرق!!

قال الحراس : (وكان يوسف قد وجههم لما يقولونه): أي جزاء تحبون توقيعه على السارق؟

قال إخوة يوسف: في شريعتنا نعتبر من سرق عبداً لمن سرقه.

قال الحارس: سنطبق عليكم شريعتكم .. لن نطبق عليكم القانون المصري الذي يقضي بسجن السارق.

كانت هذه الإجابة كيداً وتدبيراً من الله تعالى، أُلهِمَ يوسف أن يحدث بها جنوده .. ولولا هذا التدبير الإلهي لامتُنع على يوسف أن يأخذ أخاه.. فقد كان دين الملك أو قانونه لا يقضي باسترقاق من سرق.. وبدأ التفتيش..

كان هذا الحوار على منظر ومسمع من يوسف، فأمر جنوده بالبدء بتفتيش رحال أخوته أولاً قبل تفتيش رحل أخيه الصغير.. كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش ..

اطمأن إخوة يوسف إلى براءتهم من السرقة وتنفسوا الصعداء، فلم يبق إلا أخاهم الصغير بنيامين.. هنا حدثت المفاجأة لهم ....

تم استخراج صواع الملك من رحل أخيهم الأصغر.. فأمر يوسف بأخذ أخيه عبداً رقيقاً ...كما في شريعة يعقوب عليه السلام ...

قالوا ليوسف : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾ يوسف : ٧٨ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ يوسف : ٧٩

اجتمع الأخوة ... يئسوا من إنقاذ أخيهم ..

قال كبيرهم : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾ يوسف : ٨٠



رجعوا إلى أبيهم... قالوا: (يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾) يوسف : ٨١

(وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾) يوسف : ٨٢

لكن يعقوب لم يصدقهم .. فمن يكذب المرة الأولى لا يُصدق المرة الثانية ...

قالها بكل ألم .. (بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾) يوسف : ٨٣ ...

ثم تذكر جرح يوسف فتولى عنهم وقال (يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾) يوسف : ٨٤ ...

لم يفقد هذا الأب الحنون الأمل بالله .. فهموم المؤمن كلها خير ..

قال لأبنائه: (يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾) يوسف : ٨٧

عادوا إلى مصر دخلوا على يوسف ... قالوا: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾) يوسف : ٨٨

تأمل أخي الحبيب أختي الغالية إلى هذا المشهد ..

الأخوة الذين كانوا يضربونه .. ويلقونه في الجب .. أصبحوا أذلة .. وهو العزيز ...

حتى قالوا : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ)...

ثم انظرا إلى الذل وهم يقولون جئنا ببضاعة تالفة فتصدق علينا أيها العزيز !!

عند ذلك رأى يوسف أنهم قد تعلموا الدرس الرباني ....

قال لهم : (هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾) يوسف : ٨٩ ...

قالوا : هل أنت يوسف ..!!!

قال بكل تواضع : أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا ...

لم يقل: أنا الملك يوسف أو أنا عزيز مصر بل كان متواضعاً عليه السلام وقال : أنا يوسف ثم نسب الفضل إلى الله وحده فقال : (قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا)...

ثم جاء الدرس العظيم للبشرية من يوسف عليه السلام وبين أن همومنا كلها خير فقال : (إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾) يوسف : ٩٠



قالوا: (تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ) أي فضلك الله علينا ... وإن كنا لخاطئين ...

قال لهم برحمة الأخ لإخوته: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾) يوسف : ٩٢

ثم قال : (ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾) يوسف : ٩٣

وتأمل إلى الكرم فقد تزوجوا وكثر أولادهم فقال لهم بكرمه ورد الإساءة بالإحسان ؛ وأتوني ياأخوتي بأهلكم أجمعين .

قيل أن الأخ الذي أخذ القميص هو من أخذ قميص يوسف عندما كان صغيراً وهو ملطخ بالدماء فقال : لعلي أكفر ذنبي بأن ألقي هذا القميص على وجه أبي ... ركبوا ... اتجهوا إلى فلسطين ... هنا جاء الفرج ليعقوب عليه السلام ... فهمومنا كلها خير ...

قال : إني لأجد ريح يوسف لولا أن تكذبون...

قالوا أحفاده ومن عنده (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾) يوسف : ٩٥ . .

وصل البشير ... ألقاه على وجه يعقوب .... ارتد بصيراً ... فلا معجز لأمر الله ...

قال يعقوب لمن عنده : (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾) يوسف : ٩٦ ...

طلبوا أخوة يوسف من أبيهم أن يستغفر لهم ... فقال صاحب القلب الرحيم : (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾) .يوسف : ٩٨

قدموا إلى مصر ... كان من تواضع يوسف أن استقبلهم خارج مصر ورحب بهم ...

وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ..

وصلوا إلى القصر ... صعد أبواه على العرش ..

سجدوا له جميعاً سجود تحية وإكرام لا سجود عبادة .. فقد كان ذلك جائزاً في شريعة يعقوب عليه السلام ... قال يوسف: (يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴿١٠٠﴾) يوسف : ١٠٠

وتأمل أخي الحبيب أختي الغالية .. إلى يوسف وهو ينسب الفضل كله إلى الله ... ويقول : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾) يوسف : ١٠٠

ولسان حال يوسف يقول همومنا كلها خير !!



وقفة تأمل في قصة سيدنا يوسف عليه السلام : (كل دعاء مستجاب مالم يعجل صاحبه)
لعلنا ندعو ولكن قد لا تأتي الإجابة عاجلة ، ويظهر ذلك من القصة بما يلي :
يعقوب يفقد يوسف فيدعو ...
فيبقى لأكثر من ثلاثين عاماً
فإذا به يفقد بنيامين فيدعو...
ويفقد الأخ الأكبر فيدعو..
ولم ييئس من الدعاء فدعا بعودتهم جميعاً فقال : (عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾) يوسف : ٨٣ ، فإذا بعينيه تبيّض ويفقد بصره ومع ذلك بقي يدعو ويدعو .. قُرابة أربعين عاماً !!

فجاء الفرج بعد الصبر على الدعاء وعدم اليأس بأن تحولت هذه الهموم إلى خير فجمع الله له يوسف وبنيامين والأخ الأكبر مع إخوتهم على محبة وألفة .. إذ لو استجاب الله له مباشرة لما كانت تلك المحبة بينهم وأكرمه الله بأن ردّ إليه بصره ورفع منزلته بالصبر فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) (الدر المنثور ج١/٤٧٢)

عجباً !! **جبٌ ،فغربةٌ ،فرقٌ ،فمراودةٌ ،فسجنٌ ،فوزارة للماليةٌ ..**

لعل سائل يقول : لماذا تلك الهموم توالت على يوسف عليه السلام حتى أصبح وزيراً للمالية ...
ولم يجعله الله وزيراً للمالية مباشرة من غير هذه الهموم ...؟
الجواب ولله الحكمة البالغة : لأن همومنا كلها خير ..
فالبئر علم يوسف أن في هذه الدنيا ظلم وجبروت ..
والقافلة علمت يوسف كيف يعيش من تغرّبَ عن بلده ..
والرق علّم يوسف كيف يعيش العبد الرقيق ...
والقصر علّم يوسف كيف يعيش الأغنياء و يديرون أموالهم ..
والسجن علّم يوسف الصبر ...
ثم بعد ذلك خرّجَهُ الله وزيراً للمالية ..!!

فياسبحان الله .. كانت الهموم عوناً من الله ليوسف عليه السلام حتى أصبح وزيراً للمالية .. ولو لم يكن هذا العون من الله لما استطاع يوسف أن يعرف أحوال الناس في الحياة ولما نجح في إدارة الدولة وينفع أمة الإسلام في ذلك الوقت ...فأقول لكم .. همومنا كلها خير ..!!